البنية السردية في الخطاب الشعري الليبي المعاصر

قصيدة (يا رسول الله) لـ " عمرو خليفة النامي" أنموذجاً

خالد علي إبراهيم

جامعة نزوى – سلطنة عُمان

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز البنيّة السردية في الخطاب الشعري الليبي المعاصر؛ إذ وظّف (عمرو النامي) تقنيات السرد في القصيدة الشعرية، وبرهن على إمكانية ذلك بسرده لقصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بتقنيات وتكنيكيات استعارها ووظّفها في شعره، حيث بيّن الحبكة والأحداث والشخوص وإنْ قلّت، إضافة إلى الزمان والمكان بتسلسل منطقي وعلى وفق تقنيات التصوير السردي الذي أمده بانعكاس جمالي متسلسل، وبهذا نفى النامي ضمنيّا تفرد السرديّة في الأجناس الأدبية النثرية كالقصة أو الرواية أو الحكاية قديمًا. إنما أثبت إمكانية ذلك في الشعر العمودي المقفى.

جاء هذا البحث على وفق المنهج البنيوي وتحليل الخطاب، مستفيدًا من المناهج النقديّة الأخرى كالتلقي والتأويل وغيرها. فاقتضت حيثيات الدراسة تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة على الوجه الآتي:

المحور الأول: بنية الشخوص.

المحور الثاني: بنية الحدث.

المحور الثالث: بنية الزمان والمكان.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد؛؛؛

فقد أسهم الأدب الليبي كغيره من آداب العالم في إثراء الساحة الفنية والإبداعية، شعرا ونثرا ومسرحا، فالقارئ في تراجم الكتب وصنوفها يجد سير أعلام دونت تجاربها الإبداعية والأدبية، ومن بينهم

الأديب النامي الذي تشكل قصيده محور بحثنا هذا، الذي استفتحه بتمهيد أتحدث فيه عن الشاعر وحياته ومفهوم السرد، ثم أتحدث عن محاور البحث الثلاثة، الشخوص والحدث وبنية الزمان والمكان.

تمهيد:

أولًا: تعريف موجز بالشاعر[1]:

عمرو خليفة النامي، أديب ومفكر إسلامي، ولد سنة 1942م، في مدينة نالوت بجبل نفوسة، درس المرحلة الابتدائية في مدرسة نالوت، والتحق بكتّاب القرية لحفظ القرآن الكريم، ومن ثم انتقل لمدينة غريان لدراسة مرحلتي الإعدادي والثانوي في فترة 1952 – 1958م.

بدأ مسيرته الجامعية عام 1958م في جامعة الليبية بمدينة بنغازي، حيث درس في كلية الآداب والتربية وتحصل على ليسانس الآداب بتفوق عام 1962م، عام 1963 اختير لمواصلة دراساته العليا تحديدا في مصر، غير أن الظروف السياسية ارغمته على مغادرتها عام 1965م، وفي عام 1967مسافر إلى بريطانيا للدراسة هناك ليحصل على الدكتوراه في الفلسفة والدراسات الإسلامية عام 1971م من جامعة كامبردج.

ساهم في الحركة العلمية والتعليمية في ليبيا، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ودرّس بهما.

ثانيًا: مفهوم السرد:

يُشير السرد في مدلوله اللغويّ إلى الانتظام والتتابع، يقول ابن منظور في مادة (سرد) " تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في أثر بعض متتابعًا....، سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردًا كان جيّد السياق له"[2] فهذا المعنى اللغوي؛ يُخبر عن التتابع والتسلسل والانتظام، وما إنْ جِئنا لمعناه الاصطلاحي في عِلْميْ الأدب والنقد فنجده حاضرًا بقوة؛ لا سيما في الأجناس النثريّة الحديثة، إذْ أصبح من أكثر الألفاظ ذيوعًا وانتشرًا، غير أنّ هذا الذيوع والانتشار لم يترافق مع استقرار الدلالة الاصطلاحيّة الواضحة حتى تكون وثيقة الصلة بالمعنى

[1] ينظر، النامي، عمرو، مولد النور، دار إمكان للطباعة والنشر، ط1، سنة 2019م، خلاف الكتاب.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ب، مادة (سرد)

اللغوي المذكور[3]، فمعجمات الأدب والنقد تختلف في مفهوم، منها قولهم هو "المصطلح العام الذي يشتمل على قصّ حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار، سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال"[4] وما إنْ عُدنا لأصل توظيفه نجد أنّ رولان بارت (Roland Barthes) من أوائل الموظفين له، على وفق نظرية حديثة، فيقول: هو ما " تحتمله اللغة المنطوقة شفويّة كانت أو مكتوبة، والصورة ثابتة أم متحركة والإيماء، فهو حاضر في الأسطورة وفي الحكاية الخرافية وفي الأقصوصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما، والملهاة"[5] فيرى السرد أنّه أداة قصصيّة تنقل الأحداث والأخبار وتختلف حسب طبيعة سردها.

ويقول بول ريكور (Paul Ricœur) معرفًا السرد أنّه " مصدر أولي من مصادر معرفة الذات ومعرفة العالم"[6] فهو الذي ربط السرد بالذات التي تعتبر أول أداة للتواصل بين الأفراد والجماعات.

وإنْ قارنّا ذلك بالدرس العربي الحديث نجده يقرب من المصطلح اللغوي وليس عنه ببعيد، وإن تمازج فكرًا ومضمونا بالمفهوم الغربي للسرد، يقول عبد الله إبراهيم أنّ السرد: " هو ذاك النسيج اللفظيّ المعبر عن حادثة متخيلة أو واقعيّة وأنه يقترن براوي يصدر عنه"[7] فربطه بالخيال الذي يروي حادثة معينة، أو واقعي شريطة صدوره عن راوٍ.

كذلك يقول سعيد يقطين: " هو نقل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلًا للتداول سواء كان هذا الفعل واقعيًّا أو تخيليًّا وسواء تم تداوله شفاهة أو كتابة" ويقول " فالحضارة العربية لا يمكن أن تقوم فقط على الشعر؛ ولكن على السرد أيضا"[8] يعزز يقطين ما قاله عبدالله إبراهيم ويبدي الحضور الواقعي والخيالي، ويجعله حاضرًا في السرد، كما أنه أضاف إلى أن يكون شفاهة أو كتابة،

---

[3] اللواتي، إحسان بن صادق، في السرد العُماني المعاصر، نشرته مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان سنة 2013م، ص13.

[4] وهبة، مجدي، المهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت 1979م، مادة سرد. ص47.

[5] الخفاجي أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الثقافية – عمّان، ط1 سنة 2012م، ص38.

[6] بول ريكور، الوجود الزماني والسرد، تر: سعيد الغامدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص31.

[7] عبدالله إبراهيم، بنية الرواية والقلم، مجلة آفاق عربية، دار ناشرون الثقافية العامة – بغداد، ع4، سنة 1993، ص114..

[8] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع – مصر، ط1، سنة 2006، ص26.

وهذه إضافة جيدة منه؛ لأنها تمثل القول، وتجعله حاضرًا حتى في المشهد الحكائي والسينمائي الدرامي[9]

والقارئ للشعر العربي القديم يجد تمظهرات السرد كثيرة الحضور لا سيما في الشعر الجاهلي حيث برزت القصة العربية في قالب شاعري مميز، وهذا ما جعل القصيدة العربية لا تخضع لجنس أدبي محدد، بل كانت كثيرة التنوع والاختلاف، ويبدو لي هذا ما جعلها خالدة الذكر دائمة البقاء، لأنها في نص يمكن قراءته ودراسته وإسقاطاته في عصور مختلفة، وأزعم أن هذا إحدى المفارقات التي تميز بها الدرس العربي عن الدرس الغربي، يشير محمد القاضي على أنّ الشعر له علاقة كبيرة بالسرد من خلال عرضه لنماذج عن الشعر الجاهلي، فيقول " ومن المظاهر الدالة على أن العلاقة بين الخبر والشعر أننا نعثر على أخبار كثيرة تشترك في الشعر وتختلف اختلافا جزئيًا أو كلّيًا في الظروف الجافة به والتي تقوم في غضون السرد"[10].

فجاءت كثير من أشعار العربي تُحاكي القصيدة الجاهلية في السرد القصصي، ومن ذلك قصيدة عمرو خليفة النامي التي امتدح فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي يقول في مطلعها:

علوتَ فليس يدركك الثنـاء *** فأنت النور يسطع والضياء

وأنت الشمس ليس لها حجاب *** وأنت البدر ليس به خفاء

وأنت المصطفى يجلوك فيض *** من الأنوار جلله السناء

تناهي الأرض أن آوتك فخرا *** وتغبطها لموضعك السماء

المحور الأول: الشخوص.

لا خلاف بين اللغويين في مفهوم الشخص ومعناه فجميعهم يتفقون على أن الشخص هو " سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد"[11] وفي معناها الاصطلاحي يتفق رواد النقد وأهله على أنّ الشخصيّة

---

[9] لستُ في هذا بصدد ترجيح التعريفات وبيان ماهية المصطلح الدقيق فقد تكفل بهذا عدة باحثين أثاروا الساحة بأبحاثهم وأجوبتهم في ذلك، وأنا هنا لبيان الجانب التطبيقي في شعر النامي، لذا من أراد الخوص في الجانب النظري ليقصد الدراسات الخاصة بذلك، أشيد في هذا المقام بالناقد الليبي عبد الحكيم المالكي المختص بالسرد والسردية، وأحيل القارئ لإنتاجه النقدي في ذلك وأني على يقين سيجد فيه البغية والمراد.

[10] القاضي، محمد، الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) منشورات كلية الآداب – تونس، ط1، سنة 1998م، ص564.

[11] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مادة (شخص).

إحدى الركاز التي تصنع السرد، وتبلور فكرته، بل تكاد هي العامل الرئيس في صناعته، فهي الكنه الذي تدور حوله عناصر السرد الأخرى، لذا لم يختلفوا في تعريفها وصياغة مفهومها، وإن ضاقت واتسعت من ناحية الأوصاف والمحددات لجوهرها وذاتها، إذ جاء في المصطلح السردي أنها " كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية"[12] غير أنها ليست محصورة في بني البشر بل وفي غيره أيضا، إذ جل الأطروحات الحديثية في عالمي الأدب والنقد يقرون بأن صناع الحدث هم الشخوص بشرا أو غيرهم.[13]

وعلى وفق ما سبق التمهيد له، سأرصد شخوص القصيدة وأبين درجتها من ناحية التأثير المباشر فتكون أولية، وليتها الشخوص الثانوية على وفق ما رتبها الشاعر في قصيدته.

أولًا: الشخصية الرئيسة (المحور):

فهي الشخصية الأساسية في خلق الحدث ونشأته، إذ تسهم بشكل رئيس في تطويره ونموه وهي التي تتسم بالاستقلالية والوجود والحرية في حضورها وغيابها وحركتها داخل السرد الشعري[14]، وهي الركيزة الأساسية التي تدور حولها الشخصيات الأخرى وتجلب انتباه المتلقي وتستحوذ على مدار تفكيره[15]. وقد أكدّ الشاعر النامي على ذلك في قصيدته، إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشخصية الرئيسة التي قام عليها السرد، وباقي الشخوص خدمة لهذه الشخصية في صناعة البناء السردي، فيقول في مطلع قصيدته:

علوتَ فليس يدركك الثناء *** (فأنت) النور يسطع والضياء

و(أنت) الشمس ليس لها حجاب *** و(أنت) البدر ليس به خفاء

و(أنت) (المصطفى) يجلوك فيض *** من الأنوار جل له السناء[16]

---

[12] كريم، أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ط1، سنة 2012م، ص42.

[13] المحاسنة، شرحبيل أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاو الروائية، دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة مؤتة – الأردن، سنة 2007م، ص15.

[14] كريم، أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، ص410.

[15] عبدالله، سندس قاسم، البنية السردية في شعر دعبل الخزاعي، بحث محكم نُشر في مجلة الدراسات التربوية – الجامعة العراقية، العدد13، سنة 2019م، ج3، ص175.

[16] النامي، عمرو، مولد النور، ص8، 9.

فالمتأمل في الأبيات السابقة يجد الحضور المهيب للشخصية الرئيسة التي تكرر ذكرها، وتعددت أساليب اللغة في بيانها وإيضاحها، بدأها الشاعر بضمير المخاطب الملحق للفعل وتاء فاعليه، (علوت) إشارة له صلى الله عليه وسلم، وجاء تأكيده في ذات البيت من الشطر الثاني بضمير المتكلم بقوله (أنت) وكرر ذلك أربع مرات في أبياته الثلاثة الأولى، وختمها بالمصطلح العرفي (المصطفى) دلالة عنه صلى الله عليه وسلم، فتكرار الضمائر " يشكّل ظاهرة لافتة في الشعر العربي الحديث، خاصة في الاستهلال السطري أو الفاتحة النصية، بوصفه تكراراً يحدث هزة أو قشعريرة شعورية لدى المتلقي، للتنبيه على حالة شعورية معينة، أو لتوكيد الذات، وتضخيمها في بعض السياقات التي تتطلب ذلك كـ (الفخر – والغزل، والرثاء..".[17].

أما تكرار الاسم يعد ليخلق حضورا وارتكازا في القصيدة، وهذا ما أبرزه الشاعر النامي في قصيدته، فمنها قوله (رسول الله) (نبي الله) غير أنه لم يذكره باسمه قط، لأنه لم يقصده لذاته، إنما قصد رسالته الخالدة، التي جاء بها من عند الله تبارك وتعالى، فرسول الله ليُكرس هذا المفهوم في ذهن المتلقي، ويطبعه في مخيلته بأصوافه التي سردها متتابعة في كثير من أبياته، كقوله:

و(أنت) (المصطفى) يجلوك فيض *** من الأنوار جل له السناء[18]

فالمصطفى اصطفاء من الله لمحمد عليه الصلاة والسلام، يجلوك فيض من الأنوار جل له السناء أوصاف مدحية متناسقة تعظّم من شخصيته صلى الله على عظمه.

وعلى ذات النسق يستمع النامي في إجلاء شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى باتت عند المتلقي واضحة الجلاء بأوصافها المعهودة فازدانت جمالية بأوصاف المديح التي فعلها النامي مع ما عند المتلقين. فيقول:

أهم بمدح شخصك يا حبيبا *** فيمنعني جلالك والبهاء[19]

رسول الله لستُ بذي بيان *** فليس لما أكابده عناء[20]

أتأذن يا (رسول الله) إني *** بباب الشوق يحذوني رجاء؟[21]

---

[17] شرتح، عصام، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، https://www.poetryletters.com/mag/.

[18] النامي، عمرو، مولد النور، ص8، 9.

[19] النامي، عمرو، مولد النور، ص9.

[20] النامي، عمرو، مولد النور، ص10.

[21] النامي، عمرو، مولد النور، ص12.

أتأذن يا (رسول الله) إني *** أضرّ بي التوجّع والبكاء؟[22]

أهلّ جلال نورك في ربيع *** بمكة واستفاض بها الضياء[23]

(نبي الله) قدرك فوق قولي *** بما لا يستطاع له اجتلاء[24]

(نبي الله) إني جئت أشكو *** إليك وكل أنفاسي رجاء

(نبي الله) ضقت هنا وإني *** ليرهقني بذا الحبس العناء[25]

(رسول الله) جئتك من بعيد *** يرافقني مديحك والثناء[26]

فكما جاء في الأبيات السابقة حضور الشخصية الرئيسة حضورا ظاهرا، بخطابها المباشر، حيث خاطبها بأوصاف عالقة في ذهن المتلقي ليصل الغاية المنشودة، مع دمج الخطاب بالأفعال الماضية الدالة على الاستقرار، والأفعال المضارعة الداعية للتجدد والتجديد، لا سيما في ابتهالات الشاعر النامي ومدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أضفى جمالا أسلوبيا باستعمال آليات المجاز فعدل وانزاح عن حقيقة الخطاب إلى بلاغته، ويتجلى هذا في قوله: (بباب الشوق يحذوني رجاء)، وقوله:

أهلّ جلال نورك في ربيع *** بمكة واستفاض بها الضياء[27]

وهنا يتضح للمتلقي لغة الإنشاء التي وظفها النامي في خطابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على الرغم من أنه كان يخبر عن ابتدائه بالقصيد ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقد أجاد في تفعيل سمات اللغة ومراعاتها للمقام حتى أعطت نمطا أسلوبيا مغايرا مع انسجامه مع الخطاب الأصلي الرئيس[28].

ثانيًا: الشخصية الثانوية:

---

[22] النامي، عمرو، مولد النور، ص13.1

[23] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

[24] النامي، عمرو، مولد النور، ص34.

[25] النامي، عمرو، مولد النور، ص36.

[26] النامي، عمرو، مولد النور، ص36.

[27] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

[28] فضل، صلاح، الأسلوب والأسلوبية، دار سعاد الصباح، ط1 سنة 1977م، ص162.

لم يغفل النامي الشخصيات الثانوية، وإنْ لم تشغل خطابه كثيرا، فلم يعول عليها إلا بقدر حاجتها في بيان الحدث وترسيخه في ذهن المتلقي، ، إلا أنها ألمحت عن أحداث أراد إيصالها للمتلقي على وفق منظوره الشعري، فسعت هذه الشخوص إلى نمو الحدث وتطويره وبلورته في خطابه الشعري، فكان لها دور المساند في النص، من ذلك قوله:

وحسبك مدحة قرآن ربي *** وما اجتمعت عليه (الأنبياء)[29]

في هذا البيت يشير إلى امتداحه سبحانه وتعالى في قوله: (وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم)[30]، فلم يمتدح الله أحدًا في دستوره الخالد صراحة كما امتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأنبياء جميعا لم يشملهم ذلك، على عظم قدرهم ورفعة شأنهم، وهذا بيان لاصطفائه سبحانه وتعالى لرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وفي البيت الآتي يبين حال جده وترسم حدث فرحته بقدوم حفيده، مشيرا لفقد ولده عبدالله والد الرسول الكريم، فقال:

فقرّت عين شيبة بعد حُزن *** لفقد أبيك إذ فيك العزاء[31]

ولم ينس أمه بعد رجوعه من بادية بني سعد فأشار لحدث عودته لوالدته والعودة إلى حضنها الدافي وإن لم تأنسه كثيرا فسرعان ما غادرت الدنيا، فقال في ذلك:

رجعت لحضن أمك بعد حين *** لتؤنسها فما طال اللقاء[32]

وأعاد الكرة مع جده مرة أخرى، إذ لم يكتب له العيش حتى يرى حفيده في شبابه، فوكل راعيته لعمه أبي طالب، فيقول في ذلك:

ولم يُكتب لجدك . وهو برّ *** بشخصك كي يواسيك . البقاء[33]

قضى جد فقام عليك عم *** حفي في مبرّته الغناء[34]

---

[29] النامي، عمرو، مولد النور، ص9.

[30] سورة القلم، آية4.

[31] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

[32] النامي، عمرو، مولد النور، ص16.

[33] النامي، عمرو، مولد النور، ص16.

[34] النامي، عمرو، مولد النور، ص17.

وأشار الشاعر النامي لزوجته خديجة بنت خويلد التي اختصها الله له بكل خير، الغناء والوفرة، والمودة والسكينة التي لقيها منها، ونعمة الولد، فقال:

وخصك من خديجة كل خير *** غناؤك والمودة الرفاء[35]

وأيضا وثّق حدث الوحي ونزوله عن طريق جبريل الملك الأمين، فقال في ذلك:

ولقنك الأمين الوحي صدقا *** لتتلو ما حبتك به السماء[36]

على هذا النسق استحضر النامي الشخوص الثانوية حسب حاجتها وخدمتها للحدث الذي أراد توثيقه من خلالها، وبلا شكّ أنّ هذه الشخوص خدمت سرده الشعري وأوضحت معالم السرد الحكائي الذي سار في بيانه لإجلاء سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

المحور الثاني: بنية الحدث:

يمثّل الحدث أحد المرتكزات التي يقوم عليها السرد، فهو قرين الشخصية في توليد العناصر الأخرى وتركيبها في البناء السردي، ويمكن القول أنها تكمل بعضها بعضا، إما إن جئنا إلى مفهوم الاصطلاح، فقد تباينت التعريفات فيه، إلا أن فصل الخطاب في ذلك الذي اجتمعت عليه المفاهيم قولهم: "هو في أساسه يقوم على وجود الفعل ورد الفعل، خلال تفاعله وتبادله التأثرَ والتأثيرَ في توليد المعنى الأدبي... "[37] وقد أكد النامي الحدث في قصيدته وأثبته بالأفعال ورداتها في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، إلا أن الحدث البسيط هو الغالب في قصيدته هذه، إذ نرى أنه لم يوظف الحدث التام أو المركب كثيرا، وخلال قراءتنا للأبيات يتجلى ذلك.

بداية بحدث ميلاده عليه الصلاة والسلام، فقال:

أهلّ جلال نورك في ربيع *** بمكة واستفاض بها الضياء[38]

---

[35] النامي، عمرو، مولد النور، ص19.

[36] النامي، عمرو، مولد النور، ص22

[37] عثمان، بدري، بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للنشر، مصر، سنة 1986م، ص242.

[38] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

وهذا الحدث يصنف بالحدث البسيط، إذ فعل الشخصية محدد جدا، وأيضا دلالته ضيقة، حيث لم يسهب فيه الباحث ولم يتمعن في تفاصيله، وهذا عكس الحدث المركب والتام الذي يفصل فيه الشاعر الحدث ويروي فيه التفاصيل.

وحدثُ الفرحة والبهجة من جده الذي تذكر فيه موت والده رسول الله، عبدالله، يعد من قبيل الحدث البسيط، فقال:

فقرّت عين شيبة بعد حُزن *** لفقد أبيك إذ فيك العزاء[39]

ومن قبيل الحدث المركب قوله:

وسدت على بني سعد رضيعا *** فأنت لهم. وقد سبغوا رخاء

وبين بيوتهم وافاك رهط *** من الأملاك لمستهم شفاء

أزالوا عن فؤادك كل سوء *** وحل الطهر قلبك والنقاء[40]

في هذا النص وقع الحدث داخل نسيج متداخل، بتفاصيل متقطعة، لم تكتمل إلا أنها رمزت لدلالات وأحداث ثانوية يجمعها رابط مشترك وهو وجود الرسول صلى الله عليه وسلم في بادية بني سعد، إلا أنه تصحبه أحداث أخرى صغيرة أشار إليها النامي في قصيدته، الحدث الرئيس ذهابه لبني سعد، فساد عليهم دون سيادة الحكم، إنما بسيادة النبوة لاصطفائه من قبل الله تعالى على كافة البشر، وبدأ بعده مباشرة بوصف حادثة شق الصدر[41] التي أزالوا فيها السوء من قبله صلى الله عليه وسلم.

وعاد إلى الحدث البسيط في بيتين اثنين، أشار فيه إلى نزول الوحي عن طريق جبريل الأمين عليه صلى الله عليه وسلم، دون أي تفصيل، فقال:

ولقنك الأمين الوحي صدقا *** لتتلو ما حبتك به السماء

أتيت الناس بالقرآن نورا *** وفي آياته لهم الشفاء [42]

ومن قبيل الحدث المركب أيضا إشاراته على حدث الغزو، والحروب مع المشركين في أحد وبدر، وثقه بإيجاز واختصار، فقال:

---

[39] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

[40] النامي، عمرو، مولد النور، ص15.

[41] للمحدثين كلام طويل في هذا، من حيث الثبوت والعدم، لتفصيل ذلك ينظر: يونس، ربيع محمد، حادثة شق الصدر في ضوء السنة "دراسة موضوعية".

[42] النامي، عمرو، مولد النور، ص22

شهرت السيف إذ أُخرجت قسرا *** فسالت تنصر الحق الدماء
ومزق صولة الكفار بدر *** وعز الدين وارتفع اللواء
وفي أحد دروس بينات *** نصرت به وكان بك العناء[43]

كما أنه أشار إلى صلح الحديبية حينما جاء مع أصحابه لأجل الحج واعترضته قريش، أيضا بالحدث المركب، إذ دمج بينه وبين بيعة الرضوان والصلح الذي حدث بين المسلمين والمشركين، فقال:

ورمت الحج فاعترضت قريش *** وذاك بهم عناد واعتداء
فجاءت بيعة الرضوان فتحا *** وتم الصلح إذ رجعوا وفاءوا[44]

بذات النسق أشار إلى فتح مكة، وخضوع قريش لشريعة الإسلام، فقال النامي:

وجاء الفتح فانقادت قريش *** وكان لها رجوع واهتداء
وجاءتك الوفود مهنئات *** لكل بعد بيعته وفاء[45]

وفصل الخطاب في هذا، فإن من خلال ما سبق من الأحداث استطاع النامي وصف شخصية الرسول وصفًا خارجيًّا، فهي الصانعة للحدث والمعنية به، وأورد ذلك في سبيل الانتصار والفخر، حتى في حادثة غزة أحد، التي أخفق في جزئها أهل الإسلام جعلها من قبيل الدروس والتفاؤل والتعلم، (وفي أحد دروس بينات...) وفي هذا نلحظ كثافة البنى الفعلية التي تدل على التجدد والحركة (لقنك، لتتلو، أتيت، شهرت، جاء، جاءت، تم...) وذلك يكسب النص حركة تنسجم مع الأحداث التي ترويها الشاعر.

المحور الثالث: بنية الزمان والمكان.

يعد الزمان والمكان من أهم العناصر الأساسية في النص الشعري، كذلك لهما الدور في البناء الفني للخطاب، وذلك لتعدد دلالته، وتنوعه أشكاله في النص الشعري، وهذا ما يخرجه التحليل وتجليه الدراسة الفاحصة[46]، كذلك يختلط وينسجم العنصران فيشكلان فضاء داخل النص لا سيما في الشعر

---

[43] النامي، عمرو، مولد النور، ص30.

[44] النامي، عمرو، مولد النور، ص31.

[45] النامي، عمرو، مولد النور، ص32.

[46] بوجبيلة، الشريف، مكونات الخطاب السردي "مفاهيم نظرية"، عالم الكتاب الحديث، أربد – الأردن، دون ط، سنة 2011م، ص48. وينظر: عبدالله، سندس قاسم، البنية السردية في شعر دعبل الخزاعي، ص185.

فلا يكونا إلا متلازمين[47] فتصقل الشخوص والأحداث والحوارات والحبكة، إذ بهذا النسق تتشكل عناصر السرد وتنمو.

فلم يهمل النامي بنية الزمكان، إنما دمجهما في خطابه الشعري على وفق نص شعري موزون، فمن فواتحه قوله واصفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

تباهي الأرض أن آوتك فخر *** وتغبطك لموضعك السماء[48]

يشير إلى المكان الذي نشأ فيه رسول الله في الأرض، فيمدحه بها، حتى أن السماء غبطتها على ذلك، وفي هذا بلاغة بيانية وظف فيها النامي المجاز اللغوي الذي حاكى فيه الأمكنة حتى صارت ذات مشاعر وأحاسيس فتغبط بعضها بعضًا، ومن قبل ذلك أيضًا قوله:

بحبك يا حبيب الله يشدو *** فتهتز الكواكب والسماء[49]

وهو أيضًا خطاب وجداني أنطقه على لسان السماء التي تحرك شعورها بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هي وحدها فقط؛ إنما يشاطرها في ذلك الكواكب الأخرى. ومن خلال هذا التصوير البلاغي نلحظ تشاكل وانسجام عناصر السرد مع الزمان والمكان، إذ تأثرت بالشخصية الرئيسة (شخصية الرسول) تأثرا مباشرًا، وذلك لمركزية الشخصية وتأثيرها على عناصر السرد الأخرى.

كما أنه وظّف تقنية الاسترجاع[50] في العنصرين الزماني والمكاني، وذلك في قوله:

أهل جلال نورك في ربيع *** بمكة واستفاض بها الضياء[51]

وقوله:

وسدت على بني سعد رضيعا *** فأنت لهم. وقد سبغوا رخاء[52]

إذ بداها مباشرة بقوله: (تباهي الأرض...)، وقوله (اهمّ بمدحك يا حبيبا...)، ثم يعود إلى ميلاده قبل تباشير النبوة وتكاليف الرسالة فيقول: (أهل جلال نورك في ربيع...) فهذا توظيف للزمان والمكان

---

[47] مبارك، نحمد رضا، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، ص72.

[48] النامي، عمرو، مولد النور، ص9.

[49] النامي، عمرو، مولد النور، ص11.

[50] لمن أراد الإسهاب في هذا، ليُطالع ما خطه الفيلسوف جيرار جينيت في كتابه (خطاب الحكاية بحث في المنهج) ترج: محمد معتصم وآخرون، ط1 مجلس الأعلى للثقافة سنة 1997م.

[51] النامي، عمرو، مولد النور، ص14.

[52] النامي، عمرو، مولد النور، ص15.

والحدث خادمة كلها عنصر الشخصية الذي لأجله قامت القصيدة وأنشئت، ليوثق أحداثا سبقها باستفتاحه فعاد لإثباتها بأهميتها في بناء القصيدة السردية.

كما أنّه أشار إلى تأملات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء، إذ أثبت المكان باسمه، وأشرك معه الحقيقة التي كان يبحث عنها رسول الرحمة في غار حراء وهي التدبر والتفكر في ظلمة الغار وبعده عن أضواء البشر، يقول النامي:

تحن إلى الحقيقة في هيام *** ويشركك الهيام به (حراء)[53]

كما بيّن ارتداد قريش وعنادها والجفاء الذي سببته للرسول صلى الله عليه وسلم، وقريش هنا يقصد بها مضارب القبيلة ومركزها، وإن أطلقت عليها اللقب القبلي، فأحيانا يشير بمكة كمكان، وأحيانا يشير إلى القبيلة، وفي هذا رمز إلى القبيلة بمكانها وزمانها الأول الذي رفضت فيه الدعوة والإيمان بالله، فقال:

عتت عن أمر خالقها وصدت **** قريش واستبد بها الجفاء[54]

وأشار صراحة إلى وقفة بني هاشم معه، لا سيما حينما كان في شعابها، وفي هذا تشابك بين الحدث والزمان، إذ حينما عتت قريش عن أمره صلى الله عليه وسلم، جعلته حبيس الشعاب مع بني هاشم الذين نصروه ووقفوا معه في محنته، فقال النامي موثقا ذلك:

فما تركوك رهن الشعب نهبا *** لقومك واستبان لهم وفاء[55]

ولم ينس توثيق الحدثين الإسراء والمراج وبيان مكانتهما الدينية في شريعة الإسلام، خلّدها النامي في الحدث والمكان، مع ارتباطهما الوثيق بالشخصية الرئيسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النامي:

فكان لليلة الإسراء أنس *** ومعراج بشخصك وارتقاء[56]

وزرت المسجد الأقصى وصلى *** وراءك في حماه الأنبياء[57]

---

[53] النامي، عمرو، مولد النور، ص20.

[54] النامي، عمرو، مولد النور، ص23.

[55] النامي، عمرو، مولد النور، ص24.

[56] النامي، عمرو، مولد النور، ص25.

[57] النامي، عمرو، مولد النور، ص26.

ختاما وظّف النامي تقنية الاسترجاع مرة أخرى، ليبين المكان الذي جاء منه في خطابه الحواري لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفه بالبعد، ورافقه بالمدح والثناء عليه صلى الله عليه وسلم فقال:

رسول الله جئتك من بعيد *** يرافقني مديحك والثناء[58]

الخاتمة:

وفي الختام أدون أبرز النتائج التي وصلت إليها الدراسة البحثية، أجملها في الآتي:

- حضور البنى السردية في قصيدة يا رسول الله لعمرو خليفة النامي لا سيما عناصرها الثلاثة الرئيسة، الشخوص، والأحداث وبنى الزمان والمكان.
- في بنية الشخوص تمحورت جلها حول شخصية واحدة رئيسة وهي شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى شخوص ثانوية خدمت القصيدة وأثرت أحداثها فخلقت تنوعا جماليا في عددها وحدثها.
- لم يسهم تعدد الشخوص لخلق حوارات سردية، وهذا ما افتقرت إليه القصيدة من عناصر السرد.
- كشفت الدراسة عن وجود الحدث بنوعيه البسيط والمركب، مع غياب الحدث التام الذي يعبر عن فكرة رئيسة بكافة تفاصيلها.
- أجلت الدراسة بنية الزمان والمكان في قصيدة يا رسول الله للنامي، وبينت مدى امتزاجها مع عناصر السرد الأخرى.

المصادر والمراجع:

- بوجبيلة، الشريف، مكونات الخطاب السردي "مفاهيم نظرية"، عالم الكتاب الحديث، أربد – الأردن، دون ط، سنة 2011م،
- بول ريكور، الوجود الزماني والسرد، تر: سعيد الغامدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص31.

[58] النامي، عمرو، مولد النور، ص36.

- جيرار، جينيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج،ترج: محمد معتصم وآخرون، ط1 مجلس الأعلى للثقافة سنة 1997م .
- الخفاجي أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الثقافية – عمّان، ط1 سنة 2012م.
- شرتح، عصام، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، https://www.poetryletters.com/mag/.
- عبدالله إبراهيم، بنية الرواية والقلم، مجلة آفاق عربية، دار ناشرون الثقافية العامة – بغداد، ع4، سنة 1993م.
- عبدالله، سندس قاسم، البنية السردية في شعر دعبل الخزاعي، بحث محكم نُشر في مجلة الدراسات التربوية – الجامعة العراقية، العدد13، سنة 2019م.
- عثمان، بدري، بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للنشر، مصر، سنة 1986م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: المخزومي، مهدي، السامري، إبراهيم، دار الشؤون الثقافية، سنة 1984م.
- فضل، صلاح، الأسلوب والأسلوبية، دار سعاد الصباح، ط1 سنة 1977م.
- القاضي، محمد، الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) منشورات كلية الآداب – تونس، ط1، سنة 1998م.
- كريم، أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ط1، سنة 2012م.
- اللواتي، إحسان بن صادق، في السرد العُماني المعاصر، نشرته مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان سنة 2013م .
- المحاسنة، شرحبيل أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، دراسة في ضوء – المناهج الحديثة، أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة مؤتة – الأردن، سنة 2007م.
- النامي، عمرو، مولد النور، دار إمكان للطباعة والنشر، ط1، سنة 2019م.
- وهبة، مجدي، المهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت 1979م.

- يقطين، سعيد، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع – مصر، ط1، سنة 2006م.